الجزء ٩



السنة السادسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيو يورك

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ — رمضان سنة ١٣٢٦

مدرسة العالم على جسر بروكلن

الشرائع الاجتماعية

لم تؤيد الحرية والاخاء والمساواة بل قيدت البشر في معمل العمران

جسر بروكلن هو خيط يصل بين شطري نيو يورك العظيمين المتوازنين (١) بل هو احدى الاقنية (٢) التي تصب فيها بروكلن صباحاً نحو مليون من البشر

(١) شطرا نيو يورك هما نيو يورك الاصلية و بروكلين وكلتاهما متقاربتان بعدد السكان وتوءلفان نيو يورك العظمى التي يبلغ عدد سكانها نحو الاربعة ملايين نسمة. و بهذا الاعتبار تعد ثانيه مدن العالم ولندن هي الاولى

(٢) يوجد غير جسر بروكلين الى شماليه جسر آخر فوق النهر الشرقي الفاصل بين بروكلين ونيو يورك و يبنون الآن جسراً آخر بينهما . وفي العام الماضي انتهى النفق

في نيو يورك . ثم تعود نيو يورك مساءً فتصب هذا المليون في بروكلن

فاذا وقفت صباحاً أو مساءً عند طرفي هذا الجسر (قل في جهة نيو يورك مثلاً) حيث توجد مواقف القطرات الذاهبة الآتية بين ذينك الشطرين تجد الخلائق تتدفق تدفق السيل كأنها فوّار بشري . تجد احتكاكاً بلا عرك وزحاماً بلا صدام ودوياً وضوضاء بلا لغط ٍ ولا نداء وتفاهماً بلا كلام . هذا يقاطع ذاك في سبيله فيتحاشاه فان مسّه استرضاه معتذراً واستمرّ في طريقه مفتكراً . كلهم صامتون وفي صمتهم فصاحة سحبان وحكمة سليمان — ساكتون ولكن في ادمغتهم السنة افكار نواطق وفي صدورهم قلوب بدماء الآمال نوابض خوافق . يجرون جري الغزلان النوافر كأنهم يستعجلون الزمان الحاضر ويختصرون الحياة وهم يظنون انهم يمطّون حواشي العمر ليسع تلك الآمال — يعدون تباعاً سراعاً

فالى أين ؟

ينهضون كل يوم صباحاً ولو كان النوم ملء اجفانهم والوهن يحل اعصابهم ويتسربون في خطوط المدينة من كل فج ويتلاقون كلهم في طرق ذلك الجسر ثم يتفرقون في دوائر اعمالهم ثم يتلاقون في المطاعم ثم يتفرقون في دوائر الاعمال ثم يتلاقون في طرف الجسر ثم يتفرقون الى مراقدهم — وكان مساء وكان صباح يوماً تالياً . ثم ينهضون وهلمّ جرّا منذ الازل والى الابد — „ من المعلف الى تحت النير . ومن تحت النير الى المعلف " — فحتى متى ؟

في عهد الطفولة يتوقعون الشباب وفي رؤوسهم احلام العصافير — ينضج ذلك الجسم النضير ويتمدد ذلك الدماغ الصغير وتتحول تلك الاحلام الى

الذي تحت هذا النهر وصارت السكة الحديدية الكهربائية تتردد بين الشطرين فيه . ثم يوجد جسر آخر فوق نهر الهدسن ونفق تحته لوصل جرزي ستي بنيو يورك ايضاً

آمال واماني فيقولون ,, المستقبل المستقبل · اليوم أمرٌ وغداً خمرٌ · اليوم نعلم · وغداً نغنم · وبعد غدٍ ننعم ،، · يشبون ويكهلون ويشيخون وشبح المستقبل كالسراب امامهم او هو كالقمر امام الولد في الصحراء — الولد يمشي والقمر يمشي أمامه فلا يدركه

فما هو المستقبل ؟

يقولون نركض وراء السعادة والسعادة متجسمة في المال والمال عبارة عن العمل فنعمل جهدنا لكي نظفر بالسعادة — يعملون ويجمعون الريال الى الريال والمال الى المال والارقام الى الارقام · ينقضي العمر والسعادة لا تجيء وما دام في الدنيا اصفار تضاف الى اليمين فالارقام لا نهاية لها · والثروة بلا حد والسعادة هي العنقاء لا الخل الوفي

قال لي مرّة احد الظرفاء : ما ذلك الموقف على احد طرفي جسر بروكلن الا مدرسة العالم الكلية وعلى كل فرد منا ان يقف هناك خمس سنين فقد ينال شهادة المعرفة الحقيقية — معرفة مجرى هذا العالم وغاية مسيره · فاننا نعمل ونكدح ونستفرغ قوانا ونذهب ونأوب كل يوم على هذا الجسر العظيم ونركض وراء الريال فنظفر به ولا يلبث ان يفلت من بين ايدينا — يروح يوم ويجيء يوم ونحن على هذه الحال حتى نموت ومع ذلك لا نزال نجهل غاية هذا الاجتماع وناموس هذا السباق في حلبة العمل · وقلَّ بيننا من يفهم سرّ ذهابنا وايابنا في سبيل واحد وفي موعد معين كأننا على ميعاد وما نحن على ميعاد لشعور كل منا بحرية الحركة وحرية الفكر وحرية الارادة — فهل نحن آلات ؟

نعم نحن آلات بل ادوات في آلةٍ واحدةٍ — في معمل البشرية العمرانيّ · انت عضاضة وذاك عجلةٌ وهذا مسمار وهذاك ركيزة الخ وكلنا نعمل مُسيَّرين

لا مخيرين . وهذا الذي يسمونه نظاماً فيجعلنا نتحاشي بعضنا بعضاً ونحن نتقاطع في الطريق ونتحايد احدنا الآخر ونحن نسعى في سبيل الرزق ويحملنا على ان نمتنع عن اصطدام بعضنا ببعض ودوس هذا ذاك ويحرجنا على الاعتذار لمن نحتك به عفواً — هذا النظام ليس الا قيداً لنا أو رابطاً يربطنا بتلك الآلة الكبرى — بذلك المعمل العظيم . هذا الذي يسمونه قانوناً فيمنع زيداً عن ضرب عمرو ويكف بكراً عن انتهاب ما في يد خالد الى غير ذلك ليس الا مسماراً يسمرنا بآلة ذلك المعمل الكبرى . وهذا الناموس الاجتماعي الذي يوقظنا كل صباح مهما كان نومنا عميقاً ومهما سهرنا في الليل واحتجنا الى النوم صباحاً ويدفعنا في الوقت المعين الى القطار والاندفاع فوق جسر بروكلين وتزاحم المناكب في المحطة والجري الى محلات عملنا — هذا الناموس هو البرغي الذي يلصقنا بتلك الآلة الكبرى — آلة المعمل البشري العمراني العظيم . فنحن على ميعاد ولكن ما نحن اخترنا هذا الميعاد بل الطبيعة — طبيعة الكون والاجتماع البشري والحياة — التي نحن العوبة في يديها . فهي نظمتنا في تلك الآلة العديدة الادوات نظاماً دقيقاً بحيث نعمل كلنا معاً في وقت واحد متصاقبين متوافقين لا يحتك بعضنا ببعض ولا يعترض احدنا الآخر كما تدور الآلات الميكانيكية الكبرى كآلة الطباعة او آلة النسج مثلاً فتتوافق اجزاؤها ولا تحتك عجلة بعضاضة ولا تعترض عضاضةٌ عجلةً . لانه اذا اعترضت تلك هذه كسرت الواحدة الاخرى ووقفت الآلة . وهكذا الامر معنا نحن

القوانين والشرائع والنظامات — المدنية والادبية — النافذة الآن ليست لتقيم القسط وترفع ميزان الحق وتنصب قضاء العدل والانصاف بين البشر . كلاّ ثم كلاّ . بل لكي تربط افراد الناس في المعمل الاجتماعي وتسمّرهم لكي يعملوا كل حياتهم كما تعمل العجلة والعضاضة والبرغي في الآلة . ومتى عجز

فرد من افراد المعمل الاجتماعي عن انجاز عمله أو القيام بواجب وظيفته المهيّأ لها لسبب من الاسباب كالضعف أو الشيخوخة أو المرض أو الموت نُبذ وجعل فرد آخر مكانه كما لو انكسرت عضاضة أو عجلة في الآلة رميت واُنزل غيرها مكانها

وكما ان اجزاء الآلة غير متساوية في العمل والواجبات بل ان بعضها يرتكز على بعض وبعضها يعمل اكثر من بعض وبعضها يحتمل ويقاسي اكثر من بعض هكذا افراد البشر في المعمل البشري غير متساوين في العمل والواجبات والراحة والمقاساة والآلام والاتعاب والخ بل ان التفاوت بينهم من هذا القبيل أشد جداً من التفاوت بين اجزاء الآلة الميكانكية وادواتها

فالقوانين والشرائع والنظامات النافذة الآن لم تساوِ بين الناس في واجباتهم واتعابهم وراحتهم وتمتعهم حتى انها لم تعدل ولم تنصف بينهم بحيث يصيب كلاً منهم من الواجب والحق ومن التعب والراحة ومن العمل والتمتع على قدر قوته ومواهبه . والى الآن لم نجد ولا فائدة لتلك الشرائع والنظامات سوى انها تقيد افراد البشر بالمعمل الاجتماعي فقط وتضطر كل فرد ان يعمل رغم انفه سواء اعجبه هذا النظام أو لم يعجبه وسواء رضي بقسمته أو لم يرضَ وسواء كفاه نصيبه من جزاء العمل او لم يكفه . وما دامت الاعمال متنوعة ومنظمة وموزعة على جماعات لا على افراد فهو مضطر ان يزج نفسه مع الجماعة والجوع يحرجه الى الرضاء بما يُقسم له من الجزاء

القوانين النافذة الآن لم تساوِ بين الانام بنسبة مواهبهم وقواهم واجتهادهم والا لما كنا نرى الوفاً من الكسالى البله يسكنون القصور ويتوسدون الوثير ويرفلون بالحرير ويتحلون بالابريز ويتباهون بكل نفيس وعزيز وينغمسون في الملذات ويتطوحون في الشهوات ويترنحون في الحانات ويرتكبون الشرور ويستعبدون العباد ويقيمون العثرات في سبيل رقي الامة والبلاد . والقوانين تستثنيهم والقوة المنفذة تختبل أمامهم وصوت الحق يخفت في حضرتهم والجمهور مع كل ذلك يحني هامه وقاراً لهم ويلقبهم بالاكارم الاعاظم وهم لا فضل لهم على الانسانية

الا بما تقتضيه انانيتهم ولا فخر لهم الا بحب انفسهم

وفي مقابل هؤلاء نرى مئات الالوف من الملايين ينزفون عرقهم دماً ويذيبون ادمغتهم افتكاراً في معمل العمران ويلازمون جانب الحق ويستمسكون بالفضيلة ويحرصون على الآداب طمعاً بالانصاف ورجاءً بالعدالة ومع ذلك لا يكادون ينالون بلغة العيش الا بشق النفس ولا يفلتون من تحت اقدام اولئك الا بالحيلة والتوسل • والقوانين لا تظهر قوتها وتعتز بصولتها الا عليهم فكأنها وضعت لاجلهم وحدهم أو كأنهم هم وحدهم الهيئة الاجتماعية — والحقيقة ان العمران قائم بالعامة

زارني سوري يعمل في أحد المعامل الاميركية وفاوضته بشأن عمله وعلمت منه انه اشتغل سنتين في المعمل بلا انقطاع ما عدا ايام الآحاد والاعياد الرسمية وكان مدير العمل راضياً عنه كل الرضاء • ولما طلب اجازة اسبوع يسوح فيه ترويحاً للنفس وتجديداً لقواه لم يأذن له مديره بذلك الا بعد الف رجاء • ولما كان هذا العامل (كغيره من العمال) لا يأخذ اجرهُ الا على ساعات شغله فلم ينل اجرةً في اسبوع العطلة بل كان يُنفق مما وفَّره من أجرهِ بالبخل والتقتير على نفسه

فأين الحق في ذلك ؟

هذا الفتى باع قوته وكل وقته لصاحب العمل فاذا استراح اسبوعاً فلكي يجدد قواه للعمل لمديره لا لكي يصرف قواه لعمل آخر يكسب منه • فبأي حق يضطر ان ينفق من جيبه • ولو كان قد انفق كل اجرته التي ينالها كل يوم بيومه وهي لولا التقتير لا تكفيه • فمن أين له المال لينفق في عهد العطلة الضرورية له لكي يجدّد قواه ويعود نشيطاً الى عمله

صاحب العمل لا يهمه ذلك ولا يريد ان يفهم هذا الحق • صاحب العمل يظل مستنزفاً قوة هذا العامل حتى تفرغ • يستخدمه حتى يعيا ويمرض ويسقم ويعجز عن العمل فينبذه ويدفعه الى التقادير ويستخدم آخر سواه وهكذا

لا يزال يستخدم الصحيح مكان العليل والقوي مكان العاجز ما دامت الارض تنتج عمّالاً . فمنزلة العامل عنده كمنزلة العضاضة في آلات معمله تنكسر فيرميها ويضع عضاضة جديدة مكانها . أو كمنزلة الثور عند الفلاح يستكدّه حتى يموت فيطرحه للنسور الكواسر ثم يضع النير على ثور آخر . فهل أناس الهيئة الاجتماعية اذاً بشر وبقر : بشرٌ ينعمون وبقر يعملون — ومع ذلك يقولون ان القوانين الحاضرة تضمن التسوية بين الانام

اعرف ارمنياً في مصر يستخدمه رجل افرنجي في حانوت سكاير صغير من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثانية بعد نصف الليل فيأكل وجباته الثلاث في الحانوت وينام بقية حاجته من النوم واقفاً متكئاً على المائدة امامه حتى اذا جاء شارٍ هزّه موقظاً اياه . واجرته نحو ١٠ ريالات في الشهر . فسألته في أمره وقلت له لماذا لا تجد شغلاً غير هذا . فقال لا وقتَ عندي لانام فأين الوقت لابحث عن شغل آخر . فقلت استعفف من „منصبك" هذا وتمّ البحث . فقال ليس لي من اجرتي ما يملأ بطني فاذا استعفيت اموت جوعاً لاني لا اعرف ان استعطي ريثما أجد شغلاً أفضل . فقلت استدن من ذويك ريثما تشتغل فتوفي . فقال اني غريب ولا صديق لي في هذه الدنيا . فالرجل مقيّد وليس في القوانين من يحلهُ من قيده

اذا كان العامل الذي له موهبة القوة العضلية يستعمل هذه الموهبة بتمامها ويستفرغ كل قوته ولا يكسل قط عن القيام بواجباته . والحاسب الذي له موهبة الحساب يستعمل موهبته ملئها ويستفرغ كل قوى عقله في دفاتره . والصانع الذي له موهبة الصناعة كذلك وهلمّ جرّا — أي اذا كان كل ذي موهبة يستعمل موهبته تماماً غير كسول ولا متقاعد بل هو شغول مجاهد فلماذا نرى اناساً ينعمون ولا يتعبون واناساً يكدحون ومع ذلك يشقون ؟ أليس السر في ان القوانين النافذة حتى الآن لم تسوّ بين البشر ولا وظيفة لها الا ان تربط الناس بمعمل العمران الاجتماعي وتضطرهم الى استفراغ قواهم في المعمل مهما كان اجرهم منه

فأين نبع الظلم والغبن اذاً ؟

نبع الظلم والغبن في اخلاق الناس — في نفوسهم — في داخلهم . والقوانين حتى الآن لم تتسيطر على تلك الاخلاق . ولذلك يتسنى لعديم الذمة وفاقد الرحمة ان يغتصب قوي سواه كلما استطاع . ولذلك يسطو الغادر والغابن على الحقاني . ويدوس الظالم رقبة العادل . و يسحق الطموع رأس القنوع . ويظفر المستبد بخناق الطائع . واكثر من كل ذلك ان القابضين على ازمة الاحكام واصحابهم واقاربهم والذين يرشونهم بالاموال أو يدهون عليهم وغيرهم ممن تصل ايديهم الى زمام الحكم — كل هؤلاء يستخدمون صولة القوانين لاجل مآربهم ويجعلونها رسناً في اعناق الطائعين لها الخاضعين للنظام المعتقدين ان الحق في حضن الشريعة و يقودونهم الى تحت نير استبدادهم

فالشرائع والقوانين ليست للتسوية بين الانام بل لتقوية الضالين الظلاّم على الصالحين الذين كالاغنام . الشرائع والقوانين ليست لتقوّم الاخلاق وتنزع الاطماع وتردع الاستبداد وتطهر الهيئة الاجتماعية من الفساد وتعمم الصلاح وتقتل الطلاح وانما هي لتربط الناس في معمل العمران . وحينئذ القويُّ بقواه والظالم بظلمه والغادر بغدره والخائن بخيانته والقاسي بقساوته . فالشريعة لا تخلق الامانة ولا تقوي الاستقامة ولا تحرك الرحمة ولا تحيي الذمة ولا وصول لها الى الضمير — الى القلب

منذ عُرفت المدنية الحاضرة الى الآن يجري الجنس البشري في سبيل العمران و يضيف كل جيل بعد جيل كثيراً من الحقائق والمعارف ومعالم المدنية ونظامات المعاملة بين الامم والافراد والوسائل السهلة لاستخراج الثروة من الارض — ولكن هل تسير الهيئة الاجتماعية الى الامام كما يظنون ؟ هل تسير الى الكمال ؟ هل تزداد سعادة البشر ؟

عندي شكٌّ بذلك مع اني ممن يعتقدون بالتقدم الى الأمام . أشك لانه مرَّ على المدنية الحاضرة نحو ٦ آلاف سنة وما زال الظلم والفساد والشرور بين

البشر كما كانت . وكلما خربت سدوم وعمورة قامت الف سدوم وعمورة بدلها .
نفتخر الآن باننا صرنا اكثر حشمة وتأدبا . وننتقد القدماء الذين كانوا يحسبون التلفظ بالالفاظ القبيحة أمراً عادياً . ونعتقد ان طهارتنا حلت محل دعارتهم وحياؤنا وحشمتنا حلا محل سفههم وهرائهم واحترامنا للاعراض حل محل ابتذالهم لها . ولكن اذا بسطنا دخائلنا وجدنا ان الرياء يغطي ادناسنا والتمويه يستر ارجاسنا وان الفحشاء في الهيئة الاجتماعية الآن تلتحف بالظلماء وان الكبريت الذي طهر فواحش سدوم وعمورة ولا يطهر فواحش الهيئة الاجتماعية الآن

نفتخر الآن باننا ادق من اسلافنا في التشريع حتى اننا جعلنا لكل أمر نظاماً ونسخر بهم لانهم كانوا يكتفون بالعرف ونعتقد اننا نصبنا ميزان الحق في القضاء . ولكن عند التحري نجد ان ميزان الحق في قبضة الرشاوى وان العدل تحت يد الدينار يهبه لمن يشاء — فأين الشرع من العرف ؟

كانت القبائل تقتتل في العهد القديم رجل لرجل وسهم لسهم ونبلة لنبلة . اما الآن فالعالم كله يقتتل — امة لامة وفيلق لفيلق ومدفع كروب يحصد الوف الارواح . والديناميت والكورديت وغيرهما من المنفجرات تدمر المدن العامرة والقصور الباذخة وتدك الحصون الراسخة والقلاع الشامخة فبأي معنى تتقدم المدنية نحو الكمال يا ترى ؟

يقولون ان العقل يرتقي والفكر يهتدي تدريجاً الى محجة الصواب لاقامة القسط والعدل بين الافراد والسلم بين الامم . ويعتقدون ان القوانين الدولية تتنقح جيلاً بعد جيل لتكون كافلة لهذه الغاية . ولكن مضت الاجيال بعد الاجيال ولا تزال الحروب تشتد اضطراماً فلا يخلو عام من حروب وثورات والدول تستنفد على الدوام نحو الربع من قوى شعوبها على التسليح كبناء السفن الحربية والقلاع والحصون وتجنيد الجنود فأين الترقي ؟ وما هو الكمال الذي نسعى اليه ؟ وما هي قوة هذه القوانين المرتقية ؟

يقولون ان الاخلاق تتدمث رويداً والمبادئ تتقارب والشعوب تتفاهم

والانسان بجملته تارك الهمجية والوحشية وراءه ومتوغل في الانسانية ومقبل على كمال الالوهية الفاضلة — على الصلاح والمسالمة . على اننا لا نزال نرى من فظائع الحروب وتقاتل الامم وتطاحن الشعوب وسفك الدماء ما لم يكن مثله بين القبائل الرحل ولا بين الهمج حتى ولا بين وحوش البر وضواري الوعر . كانوا منذ القديم يقتتلون فلا يتجاوز القتلى مئات اما الآن فيتجاوزون الالوف وعشرات الالوف . كان قبلاً لصوص واما الآن فيوجد عصابات لصوص

قالوا ان بعض الجمعيات كالماسونية مثلاً أُنشئت لتقاوم الاستبداد وتؤيد الحرية والإخاء والمساواة بين العباد . ويقال ان هذه الجمعية ملأت المعمور حتى انه لا تخلو زاوية فيه من فرعٍ لها وما من طبقة او فئة من البشر الا يوجد فيها عديد من اعضائها . أفما أمكن هؤلاء الاعضاء الذين هم الجانب العظيم الفاضل من البشر ان يتفقوا على مصالحة الامم وتوفيق مصالحها وتلافي الحروب وتوقيف التسليح الذي اثقل كاهل الدول بالديون واستهلك الجانب العظيم من عمل العمال الذي كان يجب ان يُصرف لاسعاد البشرية

اما أمكن هذه الجمعيات ان تلافي الغش والخداع من بين الانام — ان تغسل الاحقاد والضغائن من القلوب — ان تطهر الهيئة الاجتماعية من الرذائل والادناس

أين هي الحرية التي تسعى الهيئة الاجتماعية اليها ؟ أهي ان يبقى العامل مقيداً كل وقته في عمله ويدفن مواهبه في اطماع سيده . أم ان ترهن الفتاة عرضها تحت عشاء تسد به رمقها . أم ان يحني الكريم هامته احتراماً للئيم . أم ان يُستعبد الصالح الفاهم لسؤدد الجاهل الظالم — ألست ترى كثيراً من امثلة هذه المعكوسات كأنّ الزمان منقلب باهله سافله اعلاه ؟

أين هي المساواة في الحقوق وامام القانون ؟ أهي ان يكدح ويدأب زيد ويتمتع وينعم عمر ؟ أهي ان يضرب الامير عامياً فيستاق الشرطيُّ العاميّ الى السجن ويبقى الامير في متنزهه سارحاً . أهي ان يُكرَم اللئيم لانه سكّ

العمّال نقوداً ويُحتقر الكريم لان ثروته المعرفة والاستقامة · أهي ابن يبقى في البشر امير يتعالى على عامي لانه ورث الامارة من سلالته · أهي ان تتحايد الشريعة نبيلاً أو لورداً أو كنتاً أو بارونا الخ لان له امتيازات ليست لسواه مع انه قد يكون بين هوءلاء من هو أحط من نذل واسفل من جبان · من اين للشرفاء هذه الامتيازات ونحن نعلم ان البشر كلهم من طينة واحدة ؟ — لا نعلم لمخلوق امتيازاً الا ما له من المواهب والقوى

كيفما امتحنت المسألة رأيت ان الشرائع والقوانين النافذة الآن لم تصلح آداب الهيئة الاجتماعية ولا تدل على ارتقائها الداخلي الحقيقي لانها لم تنزع الشر من العالم ولا ازالت الفساد من البشر ولا كفلت السعادة للجنس البشري وانما هي الوسيلة التي ضمنت انتظام الانام في سلك الاجتماع البشري والقيد الذي قيد حريتهم لكي يعملوا كآلة متصاقبين متوافقين لغاية واحدة وهي اسعاد قوم باشقاء قوم

لهذا ترى جسر بروكلين يصب كل صباح بروكلين في نيو يورك و يصب كل مساء نيو يورك في بروكلين · والناس بين بروكلين ونيو يورك مثل القمح في الغربال يتدحرجون تارة الى هنا وطوراً الى هناك غير مختارين

واذا مشيت على ذلك الجسر ولاحظت احد مفاصله وهو يتضام و ينفرج هنيهة بعد اخرى شعرت انه يتنهد تحت الالوف التي تعبر عليه لا من ثقلها بل من ثقل شرور البشرية وفسادها

اذا كانت الشرائع والقوانين النافذة اليوم غير ضامنة السلام والسعادة للجنس البشري فليس لان العقل البشري لم يهتدِ بعد الى الشرائع الصالحة المؤيدة للحق والعدل والانصاف والمساواة والحرية بل لان القلب البشري لم يقبل تلك الشرائع · العقل يفهم الحق والضمير لا يعرفه — العالم يعلم ولكن لا يعمل

دلّ سبنسر وتولستوي وهنري جورج وكثير من العلماء والفهماء على الشريعة الحقة ولكن القائمين بتنفيذ الشرائع لا يعملون بها والناس يهربون من وجه الحق

ليست الحاجة الى التشريع لان الحبر على ورق لا يلد نفوساً جديدة · الحاجة الى تربية الهية سامية — لا حيوانية سافلة — تربية تقمّص النفوس الانسانية في طبيعة غير طبيعتها الحالية — تنزع الاطماع من القلوب — تسكب المحبة الحقيقية فيها — تنشئ الرحمة والرأفة — تحيي الضمائر الميتة

قبل الشرائع الاجتماعية يجب ان تنفذ الشرائع الروحية · يجب ان تتهذب الروح فيرضى الجسد · يجب ان يولّى الضمير قبل ان يقام القاضي في منصة المحكمة — يجب ان يُطرد الرجيم قبل ان يُستفتى الحكيم

نقولا الحداد

اصلاح تركيا

تاريخه وماهيته وتأثيره

وروح ابطاله

تابع نبذة أولى

فذلكة تاريخية في القرن الماضي من حكم محمود

حتى حصل الانقلاب

الحاضر

٢ — حكم جلالة السلطان عبد الحميد الحالي

يُعدُّ جلالة السلطان عبد الحميد أقدر السلاطين وأشدهم دهاءً وحنكة وهو ممتاز بقوة عقله وجلده ولكن تعوزه قوة الجنان وحسن الثقة اذ لم تكن له ثقة حتى باعوانه والمحيطين به ولولا ذلك لاستطاع ان يخدم المملكة أجل الخدم · ولذلك اضطر ان يعتمد على السلطة المطلقة لكي يصون حياته وعرشه

فكان يأمر وينهى ويبت وحده في كل أمر حتى في أعظم الامور وأحقرها . وكان في حرب الدولة وروسيا يصدر الاوامر للجيش من قصره . فجرد كبار الدولة حتى وزراءه من كل نفوذ أو قوة أو رأي سياسي وحصر هذه الامور في نفسه ولهذا كان يستقوي به رجال حاشيته

على ان هذه السياسة لم تضمن له سلامة العرش تماماً لانها أكثرت اعداءه ودعت الى القلاقل والاضطرابات المتوالية في كل مدة حكمه فكان يقوى على تلك القلاقل بعصا الاستبداد الحديدية . وهكذا كان التنازع بين سيطرته المطلقة وحرية الشعب يشتد والخطوب تتفاقم فكلما انفتق فتق في المملكة رقعه ما أمكن حتى لما صارت سياسة البلاد كلها رتوقاً من جراء احكامه واحكام سالفيه صارت ممالك بني عثمان تفلت من ايديهم الواحدة بعد الاخرى . فبعضها استقلت استقلالاً اداريا تحت حماية الدول وبعضها انتقلت الى تحت سلطة الدول الاخرى . فاليونان انفصلت أولاً ثم تلتها مولدافيا ثم والاشيا ثم اتحدتا تحت اسم رومانيا . ثم مملكة السرب . ثم احتلت النمسا البوسنة والهرسك . ثم استقلت بلغاريا . ثم وقعت مصر في قبضة انكلترا

وكان من ذلك ان الارمن تجرأوا الى طلب الاستقلال والمكدونيين جعلوا يجاهدون فيه ايضاً والاعراب في بلاد العرب أخذوا يسعون الى الانعتاق من حكم الاتراك

ولأول عهد تبوئه العرش امتدت ثورة البوسنه الى بلغاريا وحصلت المذابح التي أثارت اهالي السرب والجبل الاسود . وضاق ذرع الدول عن حصول ضمانة من تركيا لحفظ الامن وتنظيم الحكومة . وفي سنة ١٨٧٧ اعلنت روسيا الحرب وكانت النمسا على الحياد بموجب معاهدة سرية مع روسيا تعدها هذه بموجبها ان تسمح لها باحتلال البوسنه والهرسك اذا هي مدّت نفوذها الى كل

البلقان . على ان مذابح بلغاريا كانت رهيبة جداً حتى ان انكلترا لعهد اللورد بيكونسفيلد ظلت على الحياد وبقيت تركيا بلا نصير . فدخل الروس بلغاريا في ايار واجتاحوا البلقان . وعند ذاك احتل عثمان باشا بلفنا وحصنها ليمنع تقدم الروس . ولكن في كانون اول وقعت بلفنا في ايدي الروس فاتحدت جنود رومانيا وزحفت الى الاستانة . وتقدم الروس ايضاً حتى صاروا على حدودها . وكانت جنود روسيا قد تقدمت في الاناضول الى ارزروم وحاصرتها ايضاً . وعند ذلك عُقد الصلح في سان استفانو سنة ١٨٧٨ . وكان من مواد معاهدة الصلح استقلال السرب والجبل الاسود ورومانيا . و بلغاريا اعتُبرت مستقلة استقلالاً اداريًا تدفع الجزية للباب العالي . وكريت وتساليا وابيروس تُصلَّح على يد لجنة اوروبية

ولكن انكلترا لم ترضَ بهذه المعاهدة حتى افضى الأمر الى استعدادها للحرب فارسلت اسطولها الى الدردنيل وجنودها الى مالطا . ولهذا اضطرت روسيا ان تضع المعاهدة بين ايدي موئتمر اوروبي في برلين بحسب اتفاق روسيا وانكلترا السري وهناك تنقحت معاهدة سان استفانو وأهمها تضييق حدود بلغاريا وقسمها الى قسمين . فشمالي البلقان منها استقل استقلالاً اداريًا والجنوب جُعل مقاطعة باسم الروملي خاضعة للسلطان وحاكمها نصراني وهي مستقلة اداريًا . واوستريا أخذت البوسنه والهرسك . والمقاطعات التي مُنحت الى السرب والجبل الاسود تضيقت حدودها وكذلك انقص ما أُعطي لروسيا في آسيا

وقد وعدت تركيا بالاصلاح . وانكلترا تعهدت بالدفاع عن تركيا في اسيا وأخذت قبرص جزاء ذلك

ثم نظمت لجنة اوروبية الروملي الغربية وكانت النتيجة حسنة ثم تظاهرت انكلترا مظاهرة بحرية قضت بالتنازل عن دولسينيو الى الجبل الاسود وعن تساليا

الى اليونان وتعين الامير اسكندر باتانبرغ امير بلغاريا

وفي سنة ١٨٨٥ اتحدت بلغاريا والروملي الشرقية · على ان هذا الاتحاد ساء روسيا و بايعازها اختُطف البرنس اسكندر واُجبر ان يتنازل عن الامارة · أما الباب العالي فلم ينجد بلغاريا في ذلك

ومنذ عقد من السنين شبت الحرب بين تركيا وابنتها اليونان لاجل كريت فكانت نتيجتها ان كريت استقلت استقلالاً ادارياً وتعين البرنس جورج حاكماً لها · وفي سنة ١٨٩٨ كان الالبان يعتدون على البلغاريين والسرب وأهل الجبل الاسود المقيمين في مكدونيا وحكوماتهم تطلب من الباب العالي النظر في الامر وتستنجد الدول فكانت نتيجة ذلك ارسال لجنات للتحقيق الى البانيا وتقوية الجندية هناك · وفي سنة ١٩٠١ استعفى كاظم باشا والي سكوداري في البانيا وقائد الجندية لان الاستانة لم تعضده في حفظ الامن · ومن ثم نشأت المسألة المكدونية وهي جعل مكدونيا مستقلة استقلالاً ادارياً

٥ — تركيا الفتاة

ليس لجمعية ,, تركيا الفتاة ‘‘ تاريخ مدوّن · ولهذا يُستصعَب الآن التوصل الى الحقائق الراهنة عن تاريخها لانه بعد اعلان الدستور صار كثيرون ينتمون لهذه الجمعية ويدّعون انهم احرار كانوا من حزبها · ولهم اقوال متضاربة في تقارير اعمالها يتعذر الاهتداء الى الحقيقة منها

على أن المأثور انها نشأت حزباً لا جمعية لعهد السلطان عبد العزيز حين كان الفساد يتفشى في جسم الدولة والسوس ينخر في جذع الحكومة وحرية القول لم تزل مطلقة · في ذلك العهد ظهرت ناشئة الاتراك الجديدة متهافتة الى المدنية الحديثة وكان بعض فتيانها يدرسون في كليات اوروبا ولا سيا باريس و يشاهدون معالم المدنية و يتمرّسون على السياسة الدستورية ومدارس اوروبا

تنفخ فيهم روح الحرية والحكم النيابي ومبادىء الاصلاح · حتى اذا عاد بعضهم الى الاستانة جعلوا ينشئون الجرائد الحرّة ويجردون الاقلام للجهاد في طلب الاصلاح تفاديًا من وقوع المملكة في براثن الدول الاوروبية أو سقوطها على نفسها · وكانوا هم حزب الاصلاح

وقد روى سعادة منجي بك القنصل العثماني العام في نيويورك في مقالة عن تركيا الفتاة نشرتها مجلة الاندبندنت وجريدة الجامعة نشرت تعريبها بقلم بشور افندي بشور — روى تعليلاً لاطلاق الاسم ,, تركيا الفتاة '' على حزب الاصلاح فقال : ,, ان اولئك الشبان الذين درسوا في باريس كانوا على جانب كبير من الذكاء والنجابة · فيومًا ما بينما كان الاستاذ في قاعة الدرس يشرح الامثولة لصفه ذكر شيئًا عنهم وقال ,, انظروا كيف ان فتيان تركيا متفردون بذكائهم وهزلهم '' فأُطلق عليهم اسم ,, فتيان تركيا '' أو ,, تركيا الفتاة '' في العالم التركي منذ ذلك الحين ''

وكما سبق القول لم يكن السلطان عبد العزيز داهية زمانه ليحسب حسابًا لهذه النهضة فاما ان يهتم بالاصلاح ليرقي البلاد اويحوّل سهام تلك الاقلام ويخرس الالسنة ويطفىء مصباح المعرفة ويسير بالشعب في ظلمات الظلم · ولهذا افضى التنازع بين الحرية والفساد الى خلعه

ولما تبوّأ العرش جلالة السلطان عبد الحميد الثاني وكان الفساد قد فشا في كل المملكة وصار مرضًا عضالاً في جسم الدولة وجد (على ما نظن) ان اهتمامه بالاصلاح يعرّض عرشه للتداعي ولا سيما اذا اشرك كبراء الشعب معه بالحكم بحسب الدستور فلا يأمن الخلع الذي لم يأمنه عمه السلطان عبد العزيز واخوه السلطان مراد قبله · فرأى نفسه بين ويلين : ويل المجازفة بالعرش وويل استمرار الحكومة على فسادها فآثر الثاني لانه أسلم له · وألقى على البلاد

كف الاستبداد فنفَّر الاحرار راغبي الاصلاح وخافوا سوء المغبة فجعلوا يفرّون من السلطة ودنا من العرش المملقون والمراؤون وجعلوا يعضدون الاستبداد . ومن ذلك نشأت الجاسوسية واشتد الظلم وصار الاحرار حتى غير المشتغلين بالسياسة يفرون من وجه الجاسوسية الى اوروبا ومن ثمَّ ألَّف النافذون والمقتدرون منهم جمعية ,, تركيا الفتاة " ولم يكن لهم من الاعمال ما يستحق الذكر سوى الكتابة في الجرائد والتنديد بالحكومة ذلك لان وطأة الحكومة الاستبدادية كانت شديدة جداً حتى لم يعد للاحرار قوة في مسعى من المساعي الاصلاحية

ويقال ان مركز هذه الجمعية كان في سويسرا حيث يأمن الاحرار على أنفسهم من أوامر الدولة بالقبض عليهم لان حكومة سويسرا لا تسلم المجرمين السياسيين . وكان ظهورها علناً في جنيف سنة ١٨٩١ على انها لم تكن منظمة كالواجب ولم تكن مقاصدها واضحة لتضارب غايات المنتمين اليها . ومع ذلك كان السلطان واعوانه يحسبون حسابها و يزداد حسبانهم منها عاماً بعد عام

٦ — جمعية الاتحاد والترقي العثمانية

وما زال الظلم يتفاقم في تركيا والاستبداد تشتد وطأته حتى عمَّ كل ذي مكانة في المملكة ولم يسلم منه الاَّ المقربون لجلالة السلطان ولاسيما الجواسيس . ولا يخفى انه كلما اشتد الظلم والعسف على هذا النحو كان تقارب المظلومين أضمن واتحادهم أمكن وصاروا أميل الى حزب الاحرار . فلما اشتد الضغط ولم يعد في قوس الصبر منزع وقد بلغ السيل الزبى صار المضغوط عليهم في تركيا حتى في الاستانة نفسها أشد تعشقاً للحرية والاحرار . وصاروا يفكرون في الوسيلة المثلى للخلاص من شر هذا الاستبداد

رأوا ان حزب تركيا الفتاة لم يأتِ في الثلاثين سنة الماضية شيئاً لانه لا قوة له البتة . فجعلوا يفكرون في كيف يستقوي هذا الحزب حتى يحارب

الاستبداد او يتغلّب على حكومة المستبدين الضاغطة و يقلبها و يقيم مقامها حكومة احرار مصلحة · فلم يجدوا وسيلة الا استلاب القوة من يد الحكومة الاستبدادية — استلاب الجيش

وعلى ذلك رأوا أن يؤلفوا جمعية جديدة منظمة سرية تقيد اعضاءها بالايامين والاقسام العظيمة و بالتهديدات المخيفة وان ينشروا هذه الجمعية في كل المملكة ولاسيما بين ضباط الجيش حتى متى صار معظم الضباط من اعضائها صارت قوة الدولة في يدها وحينئذٍ يسهل عليها ان تقلب الحكومة الحاضرة و تقيم بدلها حكومة حرّة · وهكذا كان

ففي ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٠٤ اجتمع سرًّا بعض كبار البلاد الذين سئموا تلك الشرور والعبودية والاستبداد والمظالم وملُّوا تسئيد الطغام من المقربين لجلالة للسطان وغطرسة الجواسيس — اجتمعوا في منزل عبد الكريم كاتب اسرار السطان على البوسفور (كما ذكر محمد دمولين احد المجتمعين) وألّفوا ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية " ودعوا اليها كل من عرفوه مخلصاً للاصلاح من حزب تركيا الفتاة وجعلوا يسعون بنشرها على كل فئة يتوسمون فيها روح الحرية وعلى ضباط الجيش وقواده ايضاً · وفي عام ملائت كل المملكة

وفي اوائل الربيع الماضي وقد شعروا ان جمعيتهم قويت قرّروا ان ينفذوا غايتهم أي قلب الحكومة الاستبدادية واعادة الدستور فوضعوا لائحة أو عريضة يطلبون فيها مطالب مختلفة أهمها اعادة الدستور واسقاط الوزارة · وقرروا تقديمها لجلالة السلطان يوم عيد جلوسه أي في اول ايلول الماضي · واوعزوا الى ضباط الجيش وجميع موظفيه من اعضاء الجمعية ان يؤيدوا العريضة بان يتهددوا الحكومة بالعصيان اذا لم يجب المطالب وان اصرّ جلالة السلطان على عدم اعادة الدستور خلعوه

على ان مساعي الدول الاصلاحية (ولا سيما روسيا وانكلترا) في مكدونيا وانفضاح أمر هذه المكيدة قضت بتعجيل انفاذ القرار السابق ذكره لانه لو تأخر لاصبحت مكدونيا تحت سيطرة الدول الاوروبية وهذا ما لا يرضاه اهلها الذين هم أساس الحركة والمكيدة ولا ٔمكن حكومة الاستبداد ان تقمع الثورة وترد كيد الكائدين في نحورهم

وفي تموز الماضي لما عِلم جلالة السلطان ان الجيش في مكدونيا متمرد وان جميع مساعيه في تطويعه مخفقة لم يرَ بدًّا من اعلان الدستور في ٢٤ منه واسقاط الوزارة . فانشئت وزارة جديدة من الاحرار وما زالت ,, جمعية الاتحاد والترقي العثمانية '' تتسيطر على الحكومة . ولما كان معظم اعضائها من رجال الجيش ونفوذها مستمداً منه فتعتبر الحكومة الحاضرة تحت أمرة الجيش

نبذة ثانية

سر الانقلاب

التنازع بين الشعب والسلطة العليا لا بين
الارستوقراطية والديموقراطية

دهش العالم اجمع ولا سيا العثمانيين من هذا الانقلاب الفجائي في تركيا — من تحول الحكومة من مطلقة استبدادية الى مقيدة حرّة وتقمص القوة في جسم حكومة دستورية من غير سفك دم . واستغربوا سر هذا التحوّل المباغت الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ — تعجبوا لانهم قاسوا تركيا على المالك التي تحوّلت من ملكية الى جمهورية مثل فرنسا أو من مطلقة الى مقيدة مثل انكلترا . أو لانهم قاسوها على روسيا التي لا يزال الحكمان — المطلق والمقيد — يتنازعان فيها أي نزاع

على ان هذا القياس مبنيٌّ على مشابهات ظاهرة فقط . والحقيقة ان بين تركيا وغيرها اختلافاً جوهرياً من هذا القبيل . ففي انكلترا وروسيا وامثالهما يوجد تنازع بين الارستوقراطية والديموقراطية — بين الاعيان وهم حزب نافذ ولهم امتيازات ليست لسائر الشعب و بين العامة وهم حزب عديد ولكن أفراده ضعفاء ولا قوة لهم الا بالاتحاد والاعتصاب

ولكن التنازع في تركيا ليس بين الارستوقراطية والديموقراطية البتة بل بين الشعب كله والسلطة الحاكمة لانه لا ارستوقراطية في تركيا أي ان اعيان تركيا ليس لهم امتيازات خاصة بهم دون العامة حتى يؤلفوا حزباً للمحافظة على امتيازاتهم الارستوقراطية ويقاتلوا الديموقراطية (أي يقاتلوا اشتراك العامة بالحكم) بل ان الاعيان كالعامة متساوون امام القوانين العثمانية والشرع الاسلامي الذي تستند اليه تركيا . فالشعب كله من اعيانٍ وعامة يؤلّف حزباً واحداً لتساويه في الحقوق وجلالة السلطان وحده حزبٌ آخر

هذا ما قضت به طبيعة الحال في المملكة العثمانية منذ نشوءها الى الآن ولهذا لم يقم فيها تنازع بين ارستوقراطيةٍ وديموقراطيةٍ فيما مضى بل كان التنازع بين ورثة العرش فقط فكان يكثر خلع السلاطين وقتلهم . ولم يحدث تنازع حاد بين الشعب والسلاطين لشدّة تفوّق هؤلاء واستعلائهم واستقوائهم على الشعب من جهة ولضعف الشعب وجهالته وتعوّده الخنوع والطاعة من جهة أُخرى على انه لما اشتدّ ضغط السلاطين في العهد الاخير من جهة وأخذ الشعب يتنوّر ويُعدى بحرية اوروبا من جهة اخرى حتى انه صار يشعر بذلك الضغط نشأ التنازع بين الشعب والسلاطين منذ اواسط القرن الماضي وربما منذ بدئه كما علم القراء من نبذتنا الاولى ان الاهتمام بالاصلاح ابتدأ لعهد السلطان محمد الثاني . ولا يخفى ان السلطان لا يتبرع بهذا الاهتمام من نفسه فلا بد ان الشعب

كان يطالب به أو ان تذمر الشعب كان داعياً له

نعم ان جانباً من الاعيان كانوا يلتفون حول العرش ويعضدونه ويؤيدونه ولكنهم لا يؤلفون حزباً ارستوقراطياً البتة لان لا امتيازات قانونية لهم كما تقدم ولا يلتفون حول العرش ويؤيدون سلطته المطلقة الا طمعاً بما يتوقعونه من المنافع الذاتية غير القانونية والنفوذ الشخصي والتملص من سلطة القانون كما كان يفعل رجال المابين الهمايوني والجواسيس حتى بدّدهم فوز الشعب بالدستور موءخراً. فهم لم يكونوا حزباً رسمياً يتنازع حزب العامة حقاً. ولكنهم كانوا انصار حزب السلطة الشرعية العليا — انصار جلالة السلطان الذي هو وحده الحزب المقابل لحزب الشعب

واذ قد اتضح ذلك جلياً صار يسهل على القارىء ان يفهم سر ذلك الانقلاب الفجائي وفوز الشعب على السلطان بغتة ونزع السلطة المطلقة من يده وتقييده بالحكم النيابي

جلالة السلطان وحده حزب ضعيف جداً فلا بد ان يستقوي عليه الشعب لانه اقوى فعلاً وحقاً. السلطان حزب ضعيف بالنسبة الى حزب الشعب أولاً لانه فرد امام جمهور

وثانياً لان الشرع الاسلامي الذي تستند اليه الدولة العثمانية يؤيد „الشورى" (الحكومة النيابية — الدستورية) أي انه يتحيز للشعب ويؤيد دعواه على السلطان ويعضد طلبه للدستور. ويصرّح بان السلطان مستول على اكثر من حقه

وما ثبتت سلطة جلالة السلطان عبد الحميد الثاني مدة الاثنين وثلاثين سنة السابقة وصولة اسلافه الا بقوة الاستبداد التي ضربت على ايدي الشعب الساذج وبمناصرة الاعوان الذين كانوا يؤيدون العرش طمعاً بغاياتهم النفسانية ومطامعهم الاشعبية. ولكن لما اشتد الضغط في عهد العلم لم تعد الظلمة تستطيع الثبوت امام النور فسقط الاستبداد وقامت الحرية

وربما لاح للقارىء الكريم ان الفوز لم يكن للشعب في المعركة الاخيرة التي

ربما تُعدُّ الوحيدة في تاريخ التنازع بين الحكمين المطلق والمقيد في تركيا بل للجيش ولهذا لا يصح القول ان الشعب حزب ضد حزب السلطان — فاقول: ليس الجيش الا زبدة الشعب ونواته وممثل حزب الشعب لانه لا جندي الا له اهل واصدقاء وجماعة في الامة او بالعكس لا اسرة او جماعة في الامة الا لها فردٌ في الجندية يمثلها · فالجنود نواب الشعب وفوزهم في هذا التنازع فوز للشعب · والطريقة التي تمَّ بها الفوز ليست الا صورة اعتصاب الشعب في طلب حقه بالدستور ونيله وان لم تكن طريقة شرعية

والذي يؤكد لك ان الشعب كله هو الحزب المقاوم لحزب السلطة وله ينسب الفوز انما هو ان افراد الامة على اختلاف مللهم ونحلهم في مصر وسوريا الى ارمينيا والاناضول والبلقان استقبلوا نعمة الدستور بالابتهاج العظيم وكأن فوزهم علَّة اتحادهم ونبذ التعصبات المذهبية بينهم وتناسي الاحقاد والضغائن وتعاهدهم على ان يتحدوا في ترقية مملكة عثمانية جديدة

نقولا الحداد

صنائع الملوك

لأكثر ملوك اوروبا وملكاتها صناعات يولعون بها بغية التسلية من جهة وبغية تشريفها في اعين العامة من جهة اخرى فمن ذلك ان جلالة الكسندرا ملكة انكلترا الحالية بارعة جداً في التصوير الفوتوغرافي · ومن جملة الصور التي اقتبستها صورة جسر كانت السنب لوقاية السكة الحديدية التي تمر عليه من خطر جسيم · فانها رأت في تلك الصورة دلائل عطب في الجسر لم يفطن له المهندس فنبهت الملك لذلك وفي الحال اوعز بالامر الى المهندس فامتحن الجسر وتحقق العطب فيه · وعند جلالتها طاقم شاي ذي ٦٠ قطعة كل واحدة منها مزدانة بصورة تصويرها

وملكتا نروج وايطاليا مولعتان بالتصوير ايضاً . والملكة الكسندرا بارعة في التصوير الزيتي ايضاً . والرسم على الفخار الصيني . وقد اهدت الى صديقاتها كثيراً من صنع يديها

وجلالة فكتوريا ملكة اسبانيا بارعة بتصوير اليد ومولعة بالاكثر في تصوير الطيور بالالوان

والملك كارلوس والملكة اميلي في البرتوغال مشهوران بالتصوير الزيتي ايضاً ولا سيما بمتانته ودقته ويعدان بين مهرة المصورين والملكة اميلي دارسة فن الطب

وملكة رومانيا ماهرة بالحفر على العاج وصنع التماثيل والدمى منه وقد صنعت تماثيل صغيرة لمشاهير الكتاب . وهي حاذقة في الاشغال اليدوية كالتطريز ونحوه . وهي روائية ايضاً وتنسخ رواياتها على ,, الطيب ريتر '' بنفسها

وجلالة أوسكار ملك اسوج مغرم بتجليد الكتب وله في هذه الصناعة تفننات غريبة ولا سيما تذهيب الكتب . والجلالة غليومينا ملكة هولندا ولع بهذه الصناعة وفي معرض بروكسل الاخير كان نسخة من كتاب الف ليلة وليلة وقد ذهبتها جلالتها أجمل تذهيب

وجلالة نقولا الثاني امبراطور روسيا مولع باولاده واكثر وقته يصنع لهم الدمى (التاثيل الصغيرة) ويتفنن بها كثيراً . ويصنع من الخشب ونحوه تماثيل بعض الحيوانات المختلفة حتى يخال لك انك في سفينة نوح ويدهنها كلها بالادهان غير السامة حتى اذا وضعها الدوقات الصغار في افواههم فلا تضرهم

واغرب هوس هوس الدوق زاراغوسا فانه يسوق مرتين في الاسبوع الاكسبرس بين مدريد وحدود فرنسا . ولما قدم الى مدير السكة الحديدية معروضاً يطلب فيه وظيفة سائق للقطار استغرب المدير جداً واخبره خطارة هذه الوظيفة ومسأوليتها ونهاه عن التعرض لاخطارها فأبى الا ان يسير بالقطار بنفسه فلم يسع المدير الا الطاعة فولاه سوق القطار البطيء فساقه ناجحاً وهو الآن امهر السواقين . وملابسه في خلال العمل لا تفرق على ملابس زملائه

اما جلالة الملك ادورد فلا واع له الا بالابحار في يخته · وقبل ان يرتقي الى العرش كان دائمًا يقوم مقام القبطان في يخته · وقد نال عدة جوائز من اندية اليخوت لمهارته في فن البحارة · والبرنس هنري باتنبرغ والامبراطور غليوم مولعان بفن البحارة ايضاً

ولما كان الملك ادورد برنس اف ويلس كان مولعاً بجمع طوابع البريد · والبرنس اوف ويلس الحالي يحذو حذو ابيه ايضاً ويهتم بالاكثر في جمع طوابع بريطانيا ومستعمراتها

واغرب الكل أمرًا ملكة ايطاليا فانها ترغب في جمع احذية المشاهير من الناس وعندها حذاء جان دارك وماري ملكة سكوتلاندا التي لبسته حين قيدت الى المجزرة وحذاء ماري انطوانت زوجة لويس السادس عشر ملكة فرنسا · ويعتقدون ان هذه الاحذية لو طرحت للبيع تنال اثمانًا باهظة ·

وبعد اختراع الاوتوموبيل اغرم اكثر الملوك بسوقها وهم يتباهون بها تباهي امراء العرب بالجياد ويُعدّ جلالة الملك ادورد في مقدمتهم وعنده عدة اوتوموبيلات ويندر ان يسافر من مكان الى آخر في السكة الحديدية واكثر اسفاره في الاوتوموبيل · والبرنسس اف وايلس آخر من رغبت في الاوتوموبيل وقد صنع لها اوتوموبيل فاخر جداً وطلي بالطلاء الاخضر الجميل وعليه مثال تاجها حتى كل من شاهده عرفه انه لها · واما داخله فبديع الاثاث والرياش وفيه على الخصوص مائدة للشاي بديعة

والآن يتجه نظر الملوك والملكات الى البالونات حتى متى امكن السفر فيها اغرموا بها اغرامهم باليخوت والاوتوموبيلات

المقتطف ودعوة الجامعة الى الزراعة

في الولايات المتحدة

قال المقتطف الاغر ان الافضل ان تدعو الجامعة المهاجرين الى العودة الى بلادهم بعد قيام الدستور لتعميرها فان الزراعة فيها أفضل منها في اميركا

نشرت رصيفتنا مجلة المقتطف الغراء في جزئها (جزء ايلول) فصلاً عنوانه (الزراعة والعثمانيون المهاجرون) افتتحته بهذه الفقرة

« قابل حضرة صديقنا فرح افندي انطون صاحب الجامعة ناظر الداخلية في بلاد كندا واستعلم منه عن اساليب تملك الاراضي الزراعية في تلك البلاد وحث اخوانه العثمانيين المهاجرين على السعي في امتلاك الارض واحيائها والاشتغال بالزراعة وحسناً فعل . ولكنه لو عرف حينئذ ان الامة العثمانية نالت ما كانت تصبو اليه وهو حكومة دستورية ترجى ان تكون مثل حكومة كندا اهتماماً باصلاح بلادها لو عرف ذلك قبلما قابل وزير كندا لعدل عن مقابلته و بذل همته في حث المهاجرين العثمانيين على الرجوع الى بلادهم وتعميرها »

ثم ذكرت ان البلاد العثمانية تفضل البلاد الاوروبية والاميركية في جودة تربتها واعتدال حرّها و بردها واوقات وقوع المطر فيها فهي أفضل للزراعة من بلاد اوروبا واميركا التي هي (تحت رحمة الاحداث الجوية من حرّ و بردٍ ومطر وثلج) واستشهدت على ذلك بما راه منشئاها الكريمان في سياحاتهما في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا من يبس الزرع حين امساك السماء وإغراقه حين وقوع المطر مدراراً في غير اوانه . ثم ختمت الفصل بقوله :

« والمنتظر الآن ان تصطلح حكومة البلاد العثمانية مربعاً حتى تضاهي اصلح الحكومات الاوروبية وحينئذ تزول الاسباب التي دعت العثمانيين الى المهاجرة والمرجح عندنا ان

كثيرين منهم يرجعون الى بلادهم لانهم لا يجدون بلاداً اوفر منها خيرات فضلاً عن ملاءمة هوائها لما الفوه هم واسلافهم من قبلهم . وعسى ان يعودوا اليها مكتسبين همة واختباراً ليساعدوا المقيمين فيها على اصلاحها وابلاغها الدرجة التي تستحقها بين ممالك الارض الراقية »

نقول ومقتضى كلام الرصيفة الكريمة امران . (الاول) ان إقبال السوريين على الزراعة واقتناء الارض وتعميرها في بلادهم أفضل منها في اميركا بعد قيام الدستور . (والثاني) عودة المهاجرين أو كثيرين منهم الى بلادهم بعد الدستور للاشتراك في تعميرها . وسنبحث في هذين الامرين شاكرين للمقتطف الاغر لانه فتح للجامعة باب البحث فيهما في وقت يجب فيه هذا البحث

أيٌّ أفضل الآن

ان ينشيء المهاجرون المزارع في الولايات المتحدة ام في سوريا بعد قيام الدستور فيها

تُفضَّل سوريا على اميركا للزراعة للمهاجرين من عدة وجوه

(الاول) ان هواء سوريا اكثر اعتدالاً أي اخف برداً وحراً وجوّها من حيث المطر والجفاف اكثر انتظاماً كما قال المقتطف الاغر

(الثاني) ان المهاجرين أَلفوا جو سوريا لانها بلادهم التي شبوا فيها فاذا عاشوا في بلادهم كان ذلك اسلم لصحتهم اولاً وأدعى الى هناء معيشتهم ثانياً

(الثالث) ان سوريا أحق من أميركا بان يعمّرها المهاجرون السوريون . فاذا استوت المزايا والمنافع الزراعية للسوريين في اميركا وسوريا فعليهم ان يفضلوا الاستعمار في سوريا عليه في اميركا

(الرابع) انّ الذي يشتغل بانشاء مزرعة في اميركا (يسمّر) في ارضها

تسميرًا فيصعب عليه بعد ذلك العودة الى وطنه · وعدا عن ذلك فان الاراضي المجانية (الهومستيد) في كندا والولايات المتحدة لا تُعطى مجانًا الا لمن يدخل في الجنسية الكندية والاميركية · أي عليه ان يترك جنسيته اذا كان سوريًا عثمانيًا

وتفضل الزراعة في اميركا عليها في سوريا من الوجوه الآتية

(الاول) ان مسألة الزراعة في اميركا هي نصف عمل المزرعة · اما النصف الثاني فهو الذي عليه الاعتماد في الكسب ونعني به تربية المواشي · فاهمية المزارع في مواشيها على الخصوص لا في زراعتها فقط · والمواشي في اميركا يسهل بيعها لان الشركات تبعث الى المزارع من يبتاعها دون ان يتكلف الزارع عناء عرضها على أحد · أما في سوريا فاذا ربى الزارع المواشي فهو يضطر في اغلب الاحيان الى شحنها الى خارج سوريا ليجد منافذ لها · وفضلاً عن ذلك فاثمان المواشي في أميركا أغلى من اثمانها في سوريا بكثير · ومهما اخرجت المزارع مواشي للبيع فانها تجد من يشتريها لان ٨٥ مليون نسمة في اميركا تستهلك اللحم كل يوم وشركات اللحوم فيها تُصدرها الى جميع أقطار العالم · فالعمل في تربية المواشي الذي هو أربح من الزراعة اكثر ملائمة للمهاجر في اميركا منه في سوريا · فمزرعته تكون اكثر ربحًا له في اميركا منها في سوريا

(الثاني) ان ما قلناه في مسألة تربية المواشي نقوله في مسألة المزروعات · فان ثمن دزينة القثاء مثلاً (الخيار) اضعاف اضعاف ثمنها في سوريا · و(الخيارة) الواحدة تُباع احيانًا (بالمفرق) في الحوانيت بخمسة سنتات (غرش صاغ أي ٤ متليكات عملة سوريا و١٠ مليم عملة مصر) · فتعب الزارع في استخراج دزينة القثاء من ارض سوريا كتعبه في استخراجها من ارض اميركا ومع ذلك فهو يستوفي ثمن ذلك التعب في ارض اميركا اضعاف ما يستوفيه في تعبه في ارض سوريا · ولذلك يكون اشتغاله بالزراعة في ارض اميركا اكثر

ربحاً له

وان قيل ان نسبة النفقات الى الدخل في اميركا تعدل نسبتها في سوريا فهو قول صحيح في المدن الكبرى واما العائشون في المدن الصغرى والمزارع على الخصوص فانهم يتمتعون بكثرة الدخل ويمكنهم ان يجعلوا نفقاتهم كنفقاتهم في سوريا

(الثالث) ان الذي اختبرناه في اميركا في تجوالنا بين مزارعها ومحادثاتنا زراعها هو ان في جو اميركا مزية ليست في جو سوريا . فان الاراضي في مصر لم تكن لتزرع لولا الترع التي ترويها وذلك لقلة المطر فيها . وكذلك سوريا فانه يلزمها انشاء الترع في كل نواحيها وعلى الخصوص الشاسعة المترامية ليستقيم فيها أمر الزراعة . واما الولايات المتحدة فان السماء تمطر حتى في ايام الصيف . والغريب ان مطرها منتظم وهو يكون عادةً ردء فعل للحر فيها . وبذلك تكون ايام الصيف متقسمة على الصحو والمطر فتروي المزروعات ولا تحتاج الى ريء . فمن هذه الجهة ايضاً تفضل اميركا سوريا اذ يلزم قبل انشاء السوريين المزارع الواسعة في بلادهم ان تهتم حكومتهم بانشاء ترع الريء وطرق المواصلات والا فلا تستقيم فيها زراعة واسعة

(الرابع) ليست المزروعات في كل نواحي اميركا عرضة لاحداث الجو من حرّ شديد و برد شديد وثلج وجليد فان في الولايات الاميركية ولايات جوها معتدل اعتدال جو سوريا كولاية كاليفورنيا مثلاً التي اقبل عليها الارمن وهم فقراء فاصبحوا بالزراعة فيها من أهل النعمة والثراء . ولو فعل السوريون المهاجرون فعلهم منذ جلائهم الى هذه البلاد لاكتسبوا مادياً وادبياً اضعاف ما اكتسبوه حتى الآن

(الخامس) ان اقتناء المزارع في اميركا أسهل منه في سوريا فالأمن في براري اميركا وقفارها مستتب وقد جلنا بين المزارع وشاهدنا المنازل ينام

أصحابها وابوابها ونوافذها مفتوحة وكراسيهم خارج البيت في الحديقة وما من يتعرض لهم أو لها بينما الامن في قفار سوريا على ما يعلمه القراء . ولكن قد يمكن ان تتغير هذه الحالة في سوريا بعد اصطلاح احوالها ان شاء الله . ثم ان المزارع حاضرة في اميركا والبيوت لاقامة الزراع موجودة فيها وما يلزم المزرعة موجود فيها ايضاً كالحظائر للمواشي والآبار والآلات التي يُعمل بها في المزرعة سهل تناولها من السوق بدل استجلابها من وراء البحار . واما في سوريا فالزارع مضطر حين اخذه الارض ان يبني فيها بيتاً وحظائر وبئراً الخ أي ان يؤسس كل شيء تأسيساً جديداً . وما عدا هذا فهو بأقل من الف ريال او بألف ريال يقدر ان يشتغل هنا بالزراعة وذلك بأن يستأجر احدى المزارع استئجاراً واجرتها لا تتعدى عشرة ريالات في الشهر المنزل والارض ولو كان مساحة الارض ٢٠ او ٣٠ فداناً . فكل هذه التسهيلات موجودة في اميركا ولا وجود لها الآن في سوريا

فاشتغال المهاجر بالزراعة وتربية المواشي واقتناء الارض في اميركا سيبقى اكثر ربحاً منه في سوريا ما دامت لاميركا كل هذه الامتيازات والتسهيلات . والمهاجر ينظر قبل كل شيء في عمله هذا الى مبلغ ربحه من الزراعة في اميركا او الزراعة في سوريا . اما مسألة عودته الى بلاده لان عليه واجب الاشتراك في تعميرها مع باقي اخوانه فهذه مسألة أخرى

ثم نضيف الى افضلية الزراعة في اميركا للمهاجرين اليها على الزراعة في سوريا معيشة المهاجرين هنا في وسط عظيم راقٍ يمكّنهم ان يكتسبوا اختباراته الزراعية ويشتركوا في الارتقاء الادبي بعامل الاقتداء والتشبه اذا كانوا ممن يحسنون تدبير نفوسهم والانتفاع بما حولهم من مظاهر الارتقاء والعمران

وليس معنى كل ما تقدم انه الافضل للسوريين ان يهاجروا الى اميركا

ليشتغلوا بالزراعة فيها . فان سوريا تحتاج الى ابنائها لتعميرها وعلى الخصوص بعد اطلاق الحرية وانتظار قيام العدل واستتباب الأمن . وبينما نرى كثيرين من تجار سوريا وادبائها ممن لا عمل لهم وممن لهم اعمال وهم غير راضين عنها يشكون سوء حال الاشغال وقلة الاعمال وضيق دائرة المعيشة نرى اكثر حقول سوريا جدباء مقفرة لا زرع فيها ولا ضرع . فعسى ان السوريين من تجار وادباء في سوريا يقدمون على جميع الاعمال في بلادهم العمل في الزراعة وتربية المواشي وتعمير الارض كما قال المقتطف الاغر

ولكن موضوعنا في ما تقدم بسطه المهاجرون الذين هم الآن عندنا لا اخوانهم المقيمون في سوريا . وما قمنا بهذه الدعوة الى الزراعة وامتلاك الارض وتربية المواشي بينهم الا بعد ان رأينا ان هذه الدعوة مورد جديد للنزالة في اميركا تدر عليهم الخيرات من جهة وتخفف من مسألة التجول بالبضائع لبيعها (الكشة) ثانياً . فان هذه الكشة قد اضرت النزالة في اميركا ضرراً أشد من نفعها . فقد كانت من قبل سلماً وموردا يوم لم يكن لنا سلم ولا مورد غيرها اما الآن وقد ارتقت أحوال النزالة فانشاء المزارع وتربية المواشي خير وسيلة لان تحل محلها تحسيناً لسمعتنا وتثبيتاً لاقدامنا في مجال العمل

بقي البحث في القسم الثاني وهو دعوة المهاجرين الى العودة الى بلادهم للاشتراك في تعميرها . وسنتكلم عنه في الجزء التالي ونرى من الفائدة اتماماً للبحث الذي تقدم ان ننقل ما نشره المقتطف بشأن احوال الزراعة في البلاد العثمانية وهو الفصل التالي

الزراعة في البلاد العثمانية

ليس لدينا احصاء رسمي عن احوال الزراعة في البلاد العثمانية ولذلك يضطر الباحث في هذا الموضوع ان يعتمد على تقارير قناصل الدول الاوروبية كاسيجي

والذي نعلمه عن ثقة ان البلاد العثمانية كلها من اخصب البلدان وانه يجود فيها كل ما يمكن ان يجود في غيرها في الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة لانها جامعة بسهولها ونجودها وجبالها بين هذه الاقاليم كلها . ولكن نظام العشور فيها يغلّ ايدي الفلاحين وقلّة طرق المواصلات تمنع نقل الحاصلات فلا بد لاصلاح الزراعة فيها من أمرين جوهريين الاول ربط ضرائب محدودة على الاراضي أو على الحاصلات ولا بأس بنظام العشور اذا لم يكن التزاماً بل روعي فيه العدل التام . والثاني تمهيد الطرق حتى تقل نفقات النقل . وهاتان المسألتان اصعب المسائل كلها ويجب الاهتمام بهما قبل الاهتمام بتنظيم الجيش وبناء البوارج لانه ان لم يصر دخل الحكومة العثمانية ثلاثين مليوناً أو اربعين مليوناً من الجنيهات فمن العبث ان تهتم ببناء البوارج والبارجة الواحدة لا تبنى الآن بأقل من مليوني جنيه . ولا يتضاعف دخل الحكومة الا اذا تضاعف دخل الاهالي

ولا نبالغ اذا قلنا ان دخل الحكومة يجب ان يبلغ ٤٠ مليوناً من الجنيهات وهو الآن أقل من ٢٠ مليوناً لان دخل حكومة ايطاليا ٨٠ مليوناً من الجنيهات وعدد سكانها نحو ٣٣ وفي المانيا وهي من اوسع الممالك احراشاً تبلغ أقل من ٢٥ مليون فدان . وفي احراش البلاد العثمانية الصنوبر والشوح والشربين والسنديان والارز والجوز ونحو ذلك من الاشجار التي يُستخرج منها خشب البناء والنجارة

الحبوب — يبلغ حاصل القمح سنوياً نحو مليوني طن وحاصل سائر الحبوب نحو ثلاثة ملايين طن ونصف أي ان قيمة غلة الحبوب السنوية نحو خمسين مليوناً من الجنيهات

الخمور — صنع فيها سنة ١٩٠٧ نحو ٦٢ كيلو من الخمر ونحو ٩ ملايين كيلو من السبيرتو و٦ ملايين كيلو من البيرة

الحرير — بلغ موسم الشرانق في ولايتي بورصة واشميد وحدهما نحو سبعة ملايين كيلو سنة ١٩٠٧ . وقد صدر من البلاد العثمانية من الحرير سنة ١٩٠٦ ما ثمنه نحو ٣ ملايين ليرة عثمانية ومن العنب ما ثمنه مليونان و٣٥٠ الف ليرة ومن الحبوب والدقيق ما ثمنه مليون و٨٨٠ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنه ٩١٠ الاف جنيه ومن التين ما ثمنه ٩٠٠ الف جنيه ومن البن ما ثمنه ٨٩٠ الف جنيه ومن الافيون ماثمنه ٧٣٠ الف جنيه ومن الجلود ما ثمنه ٧٣٠ الف جنيه ومن قموع البلوط ما ثمنه ٦٢٠ الف جنيه . وبلغت قيمة الصادرات كلها سنة ١٩٠٦ نحو عشرين مليونًا من الليرات واكثرها ان لم نقل كلها من الحاصلات الزراعية هذا عدا عن التبغ . اما التبغ فبلغ الصادر منه سنة ١٩٠٦ اكثر من ١٨ مليون كيلو فاذا حسبنا ثمن الكيلو ثمانية غروش فقط بلغ ثمن التبغ الصادر نحو مليون ونصف من الجنيهات

وقد بلغت قيمة الصادر الى القطر المصري فقط في العام الماضي من البلاد العثمانية مليونين و٩٧٣ الف جنيه او نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات المصرية وكلها صادرات زراعية ولم يرد الى البلاد العثمانية من القطر المصري في العام الماضي الا ما قيمته نحو ٣٣٧ الف جنيه او اقل من قيمة التبغ الوارد الى القطر المصري من البلاد العثمانية لان قيمته بلغت في العام الماضي نحو ٣٥٦ الف جنيه مصري او نحو نصف قيمة كل التبغ والتنباك الواردين الى القطر المصري

المشتركون في الجامعة في الخارج

كثيرون من مشتركي الجامعة في الخارج لم يرسلوا اليها بدل الاشتراك بعد مع قرب انتهاء السنة وهذا مـا أوجب عتبنا عليهم ولذلك ننتظر منهم ومن وكلائنا خارج الولايات المتحدة ان يتفضلوا بارسال بدلات الاشتراك الى الادارة في هذا الشهر وان لايحوجونا الى مراسلة حضراتهم بهذا الشأن